يخاطب الحجاج: اسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر *
ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة
بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين
الذين بقوا ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي
الاحيا ولا الاموات * والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته
* اذاك ام نمش بالوشي اكرعه * اذاك ام خاضب بالسي مرتعه *
فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره
الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في
التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق
قلت لقايل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب
تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق
والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على
هذه الصفة فلقوا فيها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء
فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير
والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا * وفي قول امرئ القيس
* كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي *
قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة
كقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح

جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشف الحالهم بعد كشف ايضاحا عقيب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فلذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع وانشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء *
ومما ثنى في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير

والصحيح الذي عليه علما البيان من الكد والتعب كقوله تعالى واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر
فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا
فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة
والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفيت ناره
بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره
في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قوله او كمثل ذوي
صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله
يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره
لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف
التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل
الحياة الدنيا الاية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا
بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
* وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع *
لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة
زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها
وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني
لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر
وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت
لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها

لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا تتكلف لواحد واحد شي يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله ما يحمل من اسفار الحكمة وحمل ما هو اوفر من الاوقار والاشعار من ذلك الا ما يمر بدفتيه *

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)